المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد: 05، العدد: 01 (2021)، ص320-331

الرحلات الأوروبية مصدر لتاريخ الوطن العربي رحلة الدكتور شو انموذجا

European travels are a source for the history of the Arab world

Dr. Shaw's travel is a model

خميسي سعدي

المركز الجامعي الشهيد سي الحواس بريكة (الجزائر)

khemissisaadi@cu-barika.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/05/12
تاريخ القبول:
2021/05/24

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الرحلات الأوروبية
- ✓ الوطن العربي
- ✓ رحلة الدكتور شو

الملخص:

من المصادر المهمة التي أصبح الباحثون والمؤرخون يرجعون إليها في الدراسات الحديثة الرحلات نظرا لما تحمله من أخبار ومعلومات تفيد في كتابة التاريخ، وفي هذا الصدد تعتبر الرحلات الأوروبية الحديثة والمعاصرة نحو الوطن العربي مصدرا على جانب كبير من الأهمية. وفي هذا المقال نريد أن نتعرف عن أسباب الرحلات الأوروبية وأهدافها وأهميتها ونماذج عنها وإلى أي مدى يمكن الاعتماد عليها في عملية الكتابة التاريخية، وقدمنا نموذجا لذلك ألا وهي رحلة الدكتور شو. وخلصنا في الأخير إلى تثمين عملية الاعتماد على الرحلات في عملية الكتابة التاريخية وذلك بعد نقدها وتقييمها والتأكد من مدى صحة المعلومات الواردة فيها.

Article info

Received:
12/05/2021
Accepted:
24/05/2021

Key words:
- ✓ European travels
- ✓ Arab world
- ✓ Dr. Shaw's travel

Abstract:

One of the important sources that researchers and historians refer to in recent studies is trips and travels due to the news and information they carry that are useful in writing history, and in this regard, modern and contemporary European trips to the Arab world are a source of great importance. In this article, we want to know the reasons for European travels, their goals, their importance, examples of them and to what extent they can be relied upon in the process of historical writing, and we presented an example for that, which is Dr. Shaw's travel. In the end, we concluded by evaluating the process of relying on trips in the process of historical writing, after critiquing and evaluating them and ensuring the validity of the information contained therein.

مقدمة

كثيرة هي المصادر الغربية المتعلقة بتاريخ الوطن العربي في الفترة الحديثة والمعاصرة، وفي نفس الوقت متنوعة، من كتابات القناصل والسفراء، ومذكرات السياسيين وكبار القادة العسكريين، ومذكرات الأسرى ورجال الدين. تعد الرحلات الأوروبية التي تمت في الفترة الحديثة والمعاصرة مصدرا مهما لكتابة تاريخ الوطن العربي، إذ من خلالها نستطيع أن نكشف عن حال البلاد العربية وعن طبيعة حكامها ومشايخها وعلاقتهم ببعضهم وعلاقتهم بالدول الأوروبية، ومن خلالها أيضا نعلم بعض طرق تغلغل النفوذ الأجنبي في المنطقة العربية، وتكشف لنا أيضا هذه الرحلات عن أحوال مجتمعاتها ونمط معيشتهم ووضعية المرأة وطريقة تفكيرهم. ومن خلال هذه المقدمة يمكننا طرح الإشكالية التالية: **كيف يمكننا الاستفادة من الرحلات الأوروبية في كتابة تاريخ الوطن العربي؟ وهل كل ما جاء فيها يعد أخبارا موثوقة ومسلم بها؟ أم تحتاج إلى نقد وتمحيص؟ وما هي بعض النماذج؟**

1. أسباب الرحلات وأهدافها

قبل الحديث عن أسباب الرحلات وأهدافها يجب علينا أن نتكلم عن الظروف التي تمت فيها هذه الرحلات، خاصة الظروف التاريخية، لأن أوروبا العصر الحديث غير أوروبا القرون الوسطى، فأوروبا الحديث تسعى لمعرفة الآخر والاستيلاء عليه وعلى مقدراته وخيراته. لأن معرفتها تسهل لنا بشكل كبير فهم هذه الرحلات وتقييم المعلومات الواردة فيها، وتحديد هدف كل رحلة، فليست كل الرحلات على منوال واحد من حيث منطلقات أصحابها [1].

ليس من عادة كتاب الرحلات أن يذكروا الأسباب الحقيقية لرحلتهم أو الأهداف المرجوة، التي تدفعهم إلى المخاطرة بحياتهم، ولذلك دائما ما يتحجج الرحالة بأسباب عامة، مثل الاستكشاف والسياحة، تعلم اللغة العربية وجمع المخطوطات، والتنقيب عن الآثار، زيارة الأماكن المقدسة، شراء الخيول العربية، البعد عن الحياة الأوروبية الصاخبة، التمتع بدفء بلاد الشرق وسحرها [2].

وحتى الرحلات العلمية ذات الطابع الأكاديمي كانت مرتبطة بالسياسة، أكثر من ارتباطها بالعلم والحضارة، وقد قال أحد العلماء البريطانيين أن التعاون الوثيق بين الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية ووزارة الحرب سمح بتوجيه عدد من الرحلات بهدف مزدوج، ظاهره علمي وباطنه سياسي [3]. دأبت الأوساط الرسمية على تشجيع الرحالة لوصف البلدان التي يسافرون إليها، وكذلك المؤسسات العامة مثل الجمعية الملكية الجغرافية البريطانية، شركة الهند الشرقية، المتحف الوطني البريطاني، هذا التشجيع جاء ضمن حملة الولع والشغف بكل ما يمت بصلة إلى علم الآثار، الذي تحول من اهتمام فردي إلى اهتمام وتوجه قومي، كان كل هذا يتماشى مع توجه ورغبة للحصول على المعرفة، لبسط السيطرة الفكرية. "**وهكذا غدا الشرق أمام البريطاني ميدانا لفك رموز الأبجديات، واكتشاف المعالم القديمة، وتوسيع رقعة الإمبراطورية بمختلف الوسائل الممكنة**" [4].

فالرحالة فارتيما [5] "**كانت رحلته أكثر تعقيدا، فلقد كان مكلفا بوصف عادات الشعوب التي يمر بها في طريقه للهند، وفي الهند نفسها. وكتابة تقارير عن جيوشها خاصة ما يتعلق بالمدافع، وحصر منتجاتها الزراعية والصناعية، خاصة ذات القيمة في التجارة العالمية. وباختصار فإن مهمته كانت التجسس الشامل على كل الشعوب والجماعات التي مر بها، خاصة الإسلامية منها**". ويبين بما لا يدع مجالا للشك احد الكتاب السويسريين تييري هنتش(Thierry Hentsh) الذين كتبوا حول تاريخ الاستشراق في كتابه الشرق المتخيل أن تركيز الرحالة الفرنسي فولني(Volney)[6] على وصف نظام الحكم في كل من مصر وسوريا ووصف عناصر المجتمع في كل بلد والمعلومات المتعلقة بالجيش تدخل في إطار مشروع محتمل لغزو المنطقة، ويقول:" **وكائنا ما كان دافع الرحلة إلى مصر وسورية، فإنها تمثل كل سمات ومزايا استطلاع معمق، وهي بذلك تختلف عن معظم تقارير الرحلات السابقة، وحتى اللاحقة**" [7].

وهناك من صرح بأن رحلته كانت بأمر من الحكومة كما فعل الرحالة انطوان غيوم اوليفيه في عنوان رحلته: رحلة في الإمبراطورية العثمانية مصر وفارس، بأمر من الحكومة في عامها السادس من الثورة [8].

2.أهميتها

تكتسب كتب الرحلات والبعثات العلمية أهمية خاصة في كتابة تاريخ الوطن العربي وذلك بالنظر إلى أنها كتبت كمشاهدة ورصد لواقع تمت معايشته ومعرفة رجاله عن قرب [9]. ولقد توافد عدد كبير من الرحالة على البلاد العربية كل حسب هدفه ووجهته أو الغاية التي ينشدها من خلالها، لكنهم تركوا لنا مادة خبرية وثروة معلوماتية، تهم الباحثين والمؤرخين، في جميع المجالات، وتتفاوت القيمة العلمية ومدى جدية المعلومات وموافقتها للواقع من رحالة إلى أخرى، إلا أن ذلك كله مفيد للباحث ولا يمكن له أن يتجاوزه أو يغفل عليه [10].

ومن باب الإنصاف يجب علينا أن نقر بالاستفادة التي سيجنيها كل باحث ومهتم بتاريخ الوطن العربي، ليس من المعلومات الواردة فيها فقط، ولكن في طريقة عرض المعلومات وسردها مبسطة خالية من تعقيد أو غموض [11]. والمادة الخبرية التي توفرها الرحلات قد لا توجد في مصادر أخرى، مثل الجوانب النفسية المعاشة سواء من طرف الرحالة أو غيره من الذين كتب عنهم (الانطباعات، الأحاسيس والمشاعر المختلفة، وغير ذلك مما له الأثر على حياة الإنسان) [12]. وأهمية هذه الرحلات عديدة تمس مجالات مختلفة يمكننا إيجازها ضمن العناصر التالية:

1.2. الأهمية العلمية

الرحلات ظاهرة إنسانية تتميز بطابع علمي وأدبي، فهي مصدر معلومات هام للعلوم الإنسانية، للتاريخ، علم الآثار، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، الاثنوغرافيا، والفولكلور، وللعلوم التقنية والتجريبية، مثل علم النبات، الجيولوجيا وعلم المناخ، وطرق المواصلات، وأدبية لأنها تمثل فنا أدبيا قائما بذاته.

الرحلات مهمة للجميع، وللمؤرخ على الخصوص، يجد فيه معلومات قيمة عن الفترة الزمنية التي يدرسها، عن نمط معيشة السكان، عن أعمالهم وفلاحتهم، عن عاداتهم وتقاليدهم. فالكثير من الرحلات في القرن الثامن عشر الميلادي كانت في الأساس في إطار المهام العلمية للجامعات، التي كانت أوساطها تهتم بالمشرق، وتحث على السعي للحصول على المزيد من المعلومات الدقيقة عن الشرق [13].

وتعتبر رحلة كارستن نيبور (Carsten Neibuher) التي نشرت سنة 1778م في مجلدين تحت عنوان: "**رحلة إلى البلاد العربية والبلاد المحيطة**" [14] من أولى الرحلات التي قدمت معرفة علمية عن المشرق، لأنها جاءت كثمرة أو خلاصة لبعثة ملكية دانماركية، أرسلها ومولها ملك الدانمارك [15].

شارك في هذه الرحلة مجموعة من العلماء هم: فردريك كريتين فون هافن (Fréderic Chrétien von Haven)مستشرق دانماركي، متخصص في دراسة اللغات الشرقية، بيار فورسكال (Pierre Forskal) سويدي، متخصص في التاريخ الطبيعي – علم النبات وعلم الحيوان– الطبيب كريتين شارل كرمر (Chrétien Charles Cramer) الذي كلف ايضا بعلم النبات وعلم الحيوان، وجورج غيوم بورنفايد (Geroge- Guillaume Baurenfeind) المكلف بتصوير النماذج التي يجمعها أعضاء البعثة من مناظر طبيعية، ألبسة، حيوانات، نباتات وغيرها، ومؤلف الرحلة كارستن نيبور وهو مهندس ألماني، مكلف بجمع المعلومات الجغرافية [16].

ومن الرحلات التي يمكن الاستفادة منها في الجانب التاريخي وهي ذات طابع علمي رحلة الطبيب وعالم النباتات الألماني ج. او. هابنستراية (J. E. Hebenstriet)، التي تمت بين سنتي 1832 و1833م، فهي تقدم لنا وصفا مهما لمنطقة شمال إفريقيا (الجزائر، تونس، طرابلس) في النصف الأول من القرن الثامن عشر، يتميز بشيء من الاعتدال والموضوعية إذا ما قورنت بمضمون رحلات أخرى. وهذه الرحلة تمت برعاية ملك بولونيا ومنتخب منطقة الساكس أغسطس الثاني (1670–1733م)، الذي كلف الرحالة برئاسة بعثة علمية مهمتها التعرف على حيوانات ونباتات المنطقة وجمع عينات منها لفائدة القصر الملكي [17]. تتضمن هذه الرحلة معلومات تاريخية عن محاولات الاسبان استرجاع مدينة وهران سنة 1832م، وتسجيل ملاحظات عن عادات وتقاليد السكان، وقدم وصفا لخروج المحلة من مدينة الجزائر إلى بايلك التيطري لجباية الضرائب [18].

2.2. الأهمية السياسية

الكثير من الرحلات الأوروبية تتضمن معلومات عن طبيعة الحكم العثماني في البلدان العربية، أو عن تلك الإمارات المنتشرة في منطقة الخليج العربي، فمثلا رحلة الفرنسي فولني تتضمن معلومات مهمة، فمن يطالع فهرسها يدرك أهمية هذه الرحلة في الجانب السياسي وفي غيره. فهو يذكر حكومة المماليك وجيشهم وأسلحته ولباسه وترتيبه وفنهم الحربي، وحالة الشعب المصري، والأمراض والمجاعات التي اجتاحتها حديثا [19].

والرحالة جوهان لودفيج بوركهارت (Gohann Ludwing Burckhart) [20] الذي عاصر أواخر الدولة السعودية الأولى جاءت مؤلفاته رصدا لما شاهده من أحداث حربية، عن حملة محمد علي على الوهابيين وعن معاركها، وتكلم عن حكومة الوهابيين، عن إدارتها ونظامها القضائي، وعن مواردها ومداخيلها، وغير ذلك [21].

3.2. الأهمية الاجتماعية

شكلت الناحية الاجتماعية جانبا كبيرا لا يستهان به في كتابات الرحالة الأوربيين، لا سيما ما تعلق بنمط المعيشة ومراسيم الزواج والختان ومختلف العادات والتقاليد، وأحيانا وضعية المرأة، ووصف المنازل، ولا تكاد تخلو أي رحلة من الأبعاد المختلفة للمجتمعات العربية ومظاهر حياتها. وتعد رحلة إدوارد وليم لين (Edward William Lane) [22] الموسومة بـ عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم (مصر بين 1833-1835) نموذجا للرحلات التي تركز على الجانب الاجتماعي للبلاد العربية [23]. وكذلك رحلتي الليدي آن بلانت (Lady Anne Blunt) [24] إلى منطقة نجد ومنطقة نهر الفرات، فقد قدمت فيهما وصفا سياسيا واجتماعيا للقبائل العربية المنتشرة هناك، وعن شيوخها ونسائها، وعن خيولها وغير ذلك من الأمور الاجتماعية.

3. نماذج للرحلات الأوروبية، رحلة الدكتور شو

من مواليد 1692م [25] بكيندال Kendal، دخل الى المعهد الملكي باكسفورد، حيث تعلم اللغات الشرقية (العربية، العبرية، اليونانية)، تخرج منها سنة 1719م، تم تعيينه راهبا بالكنيسة الانجليكانية بالجزائر وراعيا لموظفي القنصلية البريطانية وموظفي شركة الشرق الإنجليزية [26]، English factory of the levent company at Algeries. بقي في الجزائر اثنا عشر سنة (1720- 1732م)، قضى منها جزءا في السفر داخل الجزائر وتونس ومصر وفلسطين، مسجلا ملاحظات علمية حول النباتات والحيوانات، وتحديد مواقع البلدان والجهات المذكورة في كتب الأقدمين، والتحقق من المعلومات الواردة فيها وفي الكتاب المقدس، وإعطاء معلومات عن النظام السياسي القائم في الجزائر[27]. شمال إفريقيا بالنسبة للتجارة البريطانية يأتي في المرتبة الثانية بعد المشرق، ومصالحها الاقتصادية في الجزائر يطلق عليها اسم English Factory المصانع الانكليزية والبعض يفضل استعمال الوكالة الانكليزية، عمالها بالإضافة إلى القنصل يتبعان مباشرة لوزير الخارجية وليس لمجلس المستثمرين، ولهذا تم تعيين شو قسيسا للقنصل الانجليزي (تشارلز هدسون)، يقيم معه في نفس البناية.

كانت مهمة القساوسة هي رعاية الجانب الروحي والأخلاقي لأعضاء الشركة، بالإضافة إلى إعطاء أرائهم في بعض المسائل والقضايا التي تهم المصالح الإنكليزية [28]. قبل عودته إلى بريطانيا عين عضوا في معهد اكسفورد سنة 1727م وفي سنة 1734م عين عضوا في جمعية لندن لتحسين المعرفة الطبيعية المعروفة بالجمعية الملكية، Royal Society of London for the Emprovement of Natural Knowledge. تحصل شو على شهادة الدكتوراه في علم اللاهوت سنة 1734م، تم تعيينه بعد ذلك مسؤولا لقاعة القديس ادموند بجامعة اكسفورد واستاذا في اللغة اليونانية بنفس الجامعة، توفي سنة 1751م [29].

3. 1. أسباب رحلة الدكتور

إن المتأمل للأسباب التي دفعت الأوروبيين بصفة عامة للرحلة نحو الشرق تكاد تكون متشابهة، اختلطت فيها الأسباب السياسية (الجوسسة والتوسع) والدينية (الحج إلى الأراضي المقدسة، معرفة الشرق)، وأخرى كانت بدافع مهني وعلمي [30]. وحتى نفهم جيدا بعض الأسباب الخفية لرحلة الدكتور شو وغيره ينبغي معرفة الظروف الفكرية والثقافية التي تمت فيها هذه الرحلة، فهذه الرحلة جاءت في سياق تعرض الكنيسة والنصوص المقدسة للنقد والمساءلة والشك من طرف الكثير من العلماء في أوروبا وخاصة إنجلترا في النصف الثاني من القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر. وتعرضت مضامينه للشك كمسألة الخلق في ستة أيام أو الطوفان أو عبور بني إسرائيل البحر الأحمر، في هذا السياق جاءت رحلة شو وتقاريره المختلفة للدفاع عن الكنيسة وعن المسيحية [31].

يذكر شو في تقديمه لرحلته أن سببها هو إعطاء للعامة ملاحظات، الهدف منها إعادة إحياء الجغرافيا القديمة والتاريخ الطبيعي للبلدان التي زارها [32]، غير أن هذا لا يعد سببا وجيها في نظرنا للقيام بمثل هذا العمل، فالعمل ضخم ومفيد وغني بالمعلومات التي لا تستطيع العامة متابعتها أو فهمها حتى، بل هو موجه لهيئات وعلماء لهم أسبابهم الخاصة. ومن خلال تتبعنا لمسار رحلة الدكتور شو ومضمونها وما كتبه من تقارير ورسائل نستشف ونتبين سبب تعيين رجل دين في المصالح القنصلية البريطانية في الجزائر، وقبل أن يتم تكليفه بمهمته في الجزائر كان يرتاد الأوساط العلمية البريطانية المهتمة بالشرق، وذلك من خلال احتكاكه بأعضاء الجمعية الملكية (جمعية لندن)، حيث أظهر اهتماما خاصا بالتاريخ القديم والتاريخ الطبيعي الذي يتضمن علم الفلك وعلم النبات وعالم الحيوانات والجيولوجيا [33].

استغل الدكتور شو تواجده بالجزائر ليقوم بمراسلة الجمعية الملكية بتقارير ومقالات ضمنها ملاحظات ومعلومات تم رصدها وجمعها من خلال رحلاته المختلفة، مما يبين أن سبب رحلته كان علميا لصالح هذه الجمعية الملكية. وخلال زيارته إلى مصر والأراضي المقدسة كان يبحث ليؤكد تلك المعلومات التي وجدت في النصوص المقدسة (الإنجيل، التوراة) عن الشرق [34]. ولم يكتف بذلك بل كان يتحقق من المعلومات الواردة في كتب الأقدمين عن المناطق التي زارها، خاصة ما تعلق بالناحية الجغرافية، فكان أحيانا يؤيد ويؤكد ما كتبه مثل بطليموس Ptolémée، سترابون Strabon، بلين Pline، هيرودت Herodote، سولين Solin، أو ينفي معلوماتهم السابقة ويبين خطأهم في ذلك [35]. تمكن الدكتور شو من جمع ستمائة (600) نوع من النباتات، منها مائة (100) نوع يكتشف ويعرف للعلماء المهتمين لأول مرة، وإرسال نماذج عنها [36].

لا شك إذن في أن تواجد شو بالجزائر لم يكن بصفته الدينية فقط، وإنما استعملها كغطاء للقيام بأبحاثه وإرسال تقاريره، هذا ما يظهر على الأقل، فالمراسلات بينه وبين أعضاء الجمعية الملكية تبين بأنه كان يعد تقاريره بناء على طلبات ترد إليه منهم، وأن كل ما نشر باسمه من رحلات أو مراسلات كان بعناية الجمعية الملكية [37]. وقدر بعض الدارسين لرحلة الدكتور شو أنه قام بجولته في الجزائر وتونس بصفة عالم ورحالة كما

طلبت منه الجمعية الملكية ولم يكن تواجده بالجزائر إلا محطة ينطلق منها نحو الأراضي المقدسة، ليتعرف على المناطق والبلدات والقرى المذكورة في الإنجيل [38].

3. 2. مضمون الرحلة

جاءت رحلة الدكتور شو في جزئين، الجزء الأول خصصه لمملكتا الجزائر وتونس لتاريخهما القديم ولمناخهما ولخصائصهما الجغرافية وكل ما يتعلق بهما وبنظامهما السياسي والجزء الثاني خصصه للحديث عن مصر وعرب البتراء والأراضي المقدسة وعن الفينيقيين ومضارب بني إسرائيل، وزود كتابه بملاحق استلها من كتب الأقدمين كهيرودوت وبلين، خاصة ما تعلق بوصفهم للمناطق التي زارها أو عن موقعها الجغرافي، وملاحق عن أسماء النباتات النادرة التي صادفها في رحلته، مزينة برسوم لها، وحتى البحرية أفرد لها قائمة خاصة. كما أضاف قائمة بأسماء الأسماك النادرة التي وجدها بشواطئ الجزائر وتونس. ومعلومات حول النترات وملح الامونياك.

3. 3. المصادر التي اعتمد عليها

اعتمد الرحالة شو على مشاهدته في جمع معلوماته عن المناطق التي وصل إليها وتلك التي لم يصل إليها جمع أخبارها من عدة شخصيات ذكرها في مقدمة كتابه، مثل:

- السيد سانسون Sanson طبيب هولندي، أسير، في خدمة نائب ملك قسنطينة، قدم له معلومات كثيرة تتعلق بجغرافية مقاطعة قسنطينة.
- الاب فرانسيسكو اكسيمنس Père Francisco Ximenes، قنصل إسبانيا بتونس.
- السيد برنارد جيسو Bernard Jusseau، سمح له بنقل نقيشة لمباز Inscription de Lambese، من مخطوط الرحالة بيسونالPoissonel.
- ما تعلق بمقاطعة الزاب وواد ريغ وبقية المقاطعات الجنوبية لمملكة الجزائر أخذ المعلومات عنها من سكان تلك المناطق، الذين التقاهم بعدد كبير في مختلف المدن الجزائرية.
- ما تعلق بحالة المناخ أخذ معلوماته من البعثة الفرنسية التي قادها بيسونال.
- كثيرا ما كان ينقل ما تعلق بالجانب التاريخي لمملكة الجزائر من كتاب لوج يدي تاسيLaugier de Tassy، مؤلف كتاب تاريخ مملكة الجزائر.
- السيد ديلينيس Mr. Dillenices استاذ في علم النبات Botanique ساعده في إعداد دليل النباتات النادرة، وغير معروفة، والتي تبلغ 140 نوعا [39].

3. 4. نماذج من كتاباته

يصف شو فترة حكم الدايات التي عاصرها بوصفه للداي بأنه حاكم مستقل، علاقته مع الباب العالي علاقة تحالف فقط، لا يتلقى منه أي أوامر إلا بعض المبعوثين الخاصين، أي إنه سيد مطلق، قائد قوات البر والبحر، يحاكم ويقاضي، يعاقب ويعفو حسب رغبته، ولا يقدم تقريرا لأحد عن سياسته أو عن طريقة تسييره [40].

أما عن طريقة اختيار الداي فإنها تتم بالأغلبية من أصوات الحاضرين في عملية الانتخاب، هذا الأمر لا يستغرق إلا ساعة أو ساعتين تنتهي بإرسال طلقات مدافع من القصر معناها أنه قد تم اختيار داي جديد. هذا الأمر يتم بطريقة هادئة، لان كل أفراد الأوجاق الأتراك مؤهلون لتبوأ منصب الداي [41].

الرحالة شو قدم لنا صورة قاتمة عن وضع الداي فهو دائما في حذر شديد من المؤامرات التي تحاك بين أفراد الطائفة العسكرية للإطاحة بحكمه، ووصف الداي في هذه الحالة بأنه عبد العبيد، ويورد لنا خبرا، لا يمكن الأخذ به مباشرة أو دون التحقق منه، مفاده أن عملية انتخاب داي تتبع بانتخابات أخرى، ففي يوم واحد قتل ست دايات وانتخاب سبعة. لكنه لا يعطي لنا السنة التي حدث فيها أو أسماء الأشخاص الذين قتلوا أو الداي الذي تم اختياره بعد هذه العملية الدموية، انه كلام عام على ما يبدو لا يستند الى شيء موثوق [42].

ومن الممارسات السلبية التي ذكرها، أنه إذا قتل الداي من طرف الشعب تهان أسرته، وتسلب أموالها وتغتصب أملاكها ونسائه تجرد من كل ما تملك، وأطفاله تخفض معاملتهم إلى أدنى درجة ولا يمنح إلا راتب جندي بسيط ويحرمون من كل عطايا الدولة. وأما إذا مات الداي ميتة طبيعية، وهذا نادرا ما حدث، فإنهم يوقرونه ويبجلونه كأنه قديس أو ولي صالح، ويشيع إلى قبره في جنازة مهيبة، وعائلته تحترم وتحظى بالحماية والرعاية [43]. أما البايات فقد شبههم بالملوك، وأنهم أقل عرضة للمخاطر من الدايات، همهم هو الاغتناء وجمع أكبر ثروة ممكنة على حساب عائدات البايلك وأموال الشعب [44].

4. قراءة وتقييم

يمكن تصنيف رحلة الدكتور شو على أنها ثمرة بحث علمي، استكشافي، قائم على التحري والتقصي. لأن الرحلة لم تدون في وقتها، وأنها أخذت الوقت الكافي للظهور، أي أنها كانت محل عناية فائقة وذلك من خلال المعلومات والصور واللوائح والملاحق والتعليقات، كما يمكن وصفها بأنها تقرير أو عرض حال عن مهمة كلف بها الكاتب.

نص الرحلة المنشور خال من البصمة الذاتية أي انطباعات الرحالة ومشاعره والصعوبات التي تعرض لها، نجد كم هائل من المعلومات الجغرافية، وما يتعلق بالنباتات والحيوانات وحتى الجيولوجية مرتبة ومذكورة ومقدمة بعناية وبدقة علمية، وكأن هذه الرحلة موجهة للعلماء [45].

رغم الأهمية العلمية والتاريخية لرحلة الدكتور شو إلا أن هناك بعض الملاحظات وجب تقديمها حول هذه الرحلة، منها:

– مشكلة إصدار أحكام قيمية وتعميمها على جميع سكان الجزائر، فهو يتكلم في مقدمة رحلته أن كل العرب بدون استثناء يقومون باللصوصية والغصب والسلب والقتل ليس للأجانب فقط، ولكن حتى لإخوانه [46].

– ولم يكتف بذلك بل يتهم العرب الفاتحين ومن جاء بعدهم بأنهم سبب في خراب المدن الرومانية والبيزنطية حين استيلائهم على هذه البلاد، واليوم أي في زمانه الرعاة يسيرون بقطعانهم من المواشي وحينما تصادفهم

بقايا تلك الآثار التي لها علاقة بالمسيحية تتملكهم رغبة جامحة أو يعتبر بالنسبة إليهم واجبا دينيا مقدسا في تدميرها وإتلافها [47].

– القارئ لهذه الرحلة يلمس غلبة المسحة الدينية على بعض أجزاء رحلته خاصة ما تعلق بالأراضي المقدسة، مثل البحث عن قبر المسيح واليعازر وحدود قبائل بني إسرائيل الاثنا عشر، ويقوم بمقارنة المعلومات الموجودة في الكتب المقدسة وحاول أن يجدها ويصفها على ارض الواقع، وأن حدود إسرائيل تصل إلى نهر النيل. كما يهتم بالنباتات والحيوانات التي تم ذكرها في الكتاب المقدس [48].

أما عن الجزائر فهو يشير إلى وجود المقرات الاسقفية Siege épiscopaux، وأن الدين المسحي كان يعبد بها، ويقدر عدد هذه المدن الاسقفية بحوالي ستمائة (600) [49].

خاتمة

نستخلص من خلال هذا المقال أن الرحلات الأوروبية مهمة ومفيدة لكتابة تاريخ الوطن العربي، وأحيانا تكون في مقام المصدر الرئيسي حين تفقد الوثائق عن موضوع معين، ولكن هذه الأهمية تتوقف على مدى تقويمنا للنص، أي إخضاع هذه الرحلات إلى نقد علمي من اجل فرز المعلومات الواردة بها، التي غالبا ما تكون عبارة عن تصورات سابقة عن المنطقة العربية وعن سكانها محكومة بنظرة استشراقية، وحتى نستفيد من هذه الرحلات علينا معرفة أسبابها ودوافعها التي غالبا لا يصرح بها، وهذا على الباحث أن يكتشفه لأن ذلك يساعده على فهم النص الرحلي جيدا ويمكنه من الاستفادة واستغلاله في الكتابة التاريخية.

الرحلات الأوروبية تمكننا من فهم جيد لنمط معيشة المجتمعات العربية وعاداتها ومعرفة مستواها الثقافي مما يسهل علينا عملية إدراك ذهنية تلك المجتمعات في الفترات الحديثة، ونعرف حجم الهوة التي كانت سائدة بين المجتمعات الأوروبية والمجتمعات العربية الاسلامية.

الهوامش

1– ادوارد سعيد: **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2006، ص 271 وما بعدها.

2 – محمد محمود السرياني، معراج نواب **مرزا: مكة المكرمة في عيون غير المسلمين دراسة في تقييم أهداف وانطباعات ومعارف الرحالة النصارى عن العاصمة المقدسة**، ديسمبر 2005، مجلة رسائل جغرافية، عدد 307، تصدر عن قسم الجغرافيا جامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، ص 15،16.

3 – المرجع نفسه، ص 14.

4– رنا قباني: **أساطير أوروبا عن الشرق لفق تسد**، ط3، ترجمة: صباح قباني، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 1993، ص 138.

5– لودوفيكودي فارتيما (Ludovico Di Varthema) رحالة إيطالي، قام برحلته بدعم من ملك البرتغال بين سنوات (1503–1509م) حيث زار عدة أماكن من الشرق ومنها البلاد العربية، طبعت هذه الرحلة سنة 1510م باللغة الإيطالية، ثم بعد ذلك ترجمت إلى اللغة الإنجليزية سنة 1863، بالعنوان التالي:

The Travels of Ludovico Di Varthema in Egypt, Syria, Arabia Deserta, Arabia Flix,in Persia, India and Ethiopio.

قام بترجمتها إلى اللغة العربية عن اللغة الإنجليزية عبد الرحمن عبد الله الشيخ، تحت عنوان: رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري)، ونشرت ضمن سلسلة الألف كتاب الثاني.

6- قسطنطين فرنسوا شاسبوف المدعو فولني Constantin-François Chasseboeuf,dit Volney، رحالة فرنسي ولد عام 1757م وتوفي عام 1820م، قام برحلة إلى مصر وسوريا سنة 1783م، طبعت سنة 1787. حول هذه الرحلة انظر:

-Sarga Moussa: Noirceur Oriental, L'Egypte de Volney, May 2007, Hal -00910102,

هذا المقال متاح على الرابط التالي:

https://hal.archives-ouvertes.fr/hal-00910102

- Mohamed Abdel Majeed Al-Hasanat: La Représentation de la Syrie dans le Voyage en Egypte et en Syrie en 1787 de l'idéologue VOLNEY, Dirasat, Human and Social Sciences, Volume 32, No. 2, 2005.

– جبور الدويهي: **الرحلة وكتب الرحلات الأوروبية إلى المشرق حتى نهاية القرن الثامن عشر**، مجلة الفكر العربي، ع 32، ابريل، يونيو 1983، السنة الخامسة، تصدر عن معهد الانماء العربي في بيروت، لبنان، ص 63.

7– تيبري هنتش: **الشرق المتخيل رؤية الغرب الى الشرق المتوسطي**، دار الفارابي، بيروت، لبنان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة/ مصر، 2004، ص 235.

8- G.A. Olivier: Voyage dans l'empire Othoman, L'Egypte et La Perse, Fait par ordre de Gouvernement, pendant les six premières années de la Republique, Paris, France.

9– أحمد زكريا الشلق: مصادر تاريخ قطر الحديث، ص 229.

10 – عوض البادي: **الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية منطقة الجوف ووادي السرحان 1845– 1922**، ط 2، الدار العربية للموسوعات بيروت، لبنان، 2002. ص 09.

11– محمد محمود السرياني، معراج نواب مرزا: المرجع السابق، ص 28.

12– عبد الله بن عبد الرحمن العبد الجبار: **كتابات الرحالة الفرنسيين مصدرا لتاريخ شبه الجزيرة العربية القديم**، مجلة الدارة، عدد 01، محرم 1422هـ، السنة 27، ص 22.

13– جبور الدويهي: المرجع السابق، ص 64.

14– توجد ترجمة لهذه الرحلة بالعنوان التالي:

كارستن نيبور: **رحلة الى شبه الجزيرة العربية والى بلاد أخرى مجاورة لها**، ترجمة: عبير المنذر، ط 1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2007.

15– المرجع نفسه، ص 63.

16-C. Niebuhr: **Description de L'Arabie d'après les observations et recherches faites dans le pays même** ,Tome 1, nouvelle édition, Paris, 1774, p 2.

17– ج. أو. هابنسترايت: **رحلة العالم الالماني ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ– 1732م)**، ترجمة: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس، (ب. ت)، ص ص 12، 16.

18– المرجع نفسه، ص 16.

للاطلاع على مزيد من المعلومات حول هذه الرحلة انظر:

– غزالي عبد العالي، **نقادي سيدي محمد: صورة الجزائر في مصادر الرحلة الغربية خلال العهد العثماني رحلة هابنسترايت أنموذجا**، مجلة الحوار المتوسطي، مج 09، ع 01، مارس 2018، ص ص 108– 122.

– إلياس سبوعي، حميد آيت حبوش: **أدب الرحلة الأوروبية كمصدر هام لتاريخ الجزائر في العهد العثماني (رحلة العالم الالماني ج. أو. هابنسترايت 1732م أنموذجا)**، مجلة عصور الجديدة، مج 09، ع 03، نوفمبر 2019م، ص ص 251، 277.

19- Volney (C.V): **Voyage en syrie et en Egypte, pendant les années 1783, 1784 et 1785**, Tome 1, Paris, France, (s . D).

– للإشارة أن هذا الرحالة له مقولة مهمة حول انتماء فن الرحلة، فهو يقول: أعتقد أن الرحلة تنتمي إلى التاريخ وليست نوعا من القصص أو الروايات. انظر رحلته، توجد هذه المقولة صفحة الغلاف.

20– جوهان لودفيج بوركهارت من مواليد لوزان السويسرية عام 1784م، درس بألمانيا، دخل في خدمة جمعية ملكية بريطانية مهتمة بشؤن إفريقيا، فأرسلته في رحلة لاستكشاف منطقة النيجر، لكن ظروف الرحلة سيرته إلى الجزيرة العربية، توفي بمصر عام 1817م ، من رحلاته: **ملاحظات عن البدو والوهابيين جرى جمعها خلال التجوال في الشرق**، ج 1، ج2، ط 1، ترجمة وتقديم صبري محمد حسن، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2007.

21– محمد محمود السرياني، معراج نواب مرزا: المرجع السابق، ص 33.

22– ادوارد وليم لاين رحالة إنجليزي ولد بتاريخ 17 سبتمبر 1801م بهرفورد (Herford)، زار مصر بين سنتي 1825و 1828م، وعاد اليها ثانية سنة 1833م، بقي فيها سنتين انتهت بإنجاز رحلته الموسومة بعادات المصريين المحدثين وتقاليدهم (The Manners and Customs of The Modern Egypyians)، الذي صدر عام 1836م، توفي بتاريخ 10 اوت 1873م بإنجلترا. من مؤلفاته:

- المعجم العربي (Arabic Lexicon)- الليالي العربية (The Arabian Nights) وهي ترجمة لألف ليلة وليلة– المجتمع العربي في القرون الوسطى، وهي تكملة لقصص ألف ليلة وليلة– اصطفاءات من القران (Selection From The Kur-an)- وصف مصر (Description of Egypt). حول حياته أنظر مقدمة الترجمة لرحلته:

– وليم ادوارد لين: **عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم (مصر بين 1833– 1835)**، ترجمة: سهير دسوم، ط 2، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1999، ص ص 7، 10.

23– المصدر نفسه.

24– زوجة الدبلوماسي والرحالة ويلفريد سكون بلنت، رافقته في مهامه المختلفة ورحلاته المتعددة، تركت لنا رحلتين هما:

– رحلة الى بلاد نجد، ط 2، ترجمة محمد أنعم غالب، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1987.

– قبائل بدو الفرات عام 1878، ط 1، ترجمة: أسعد الفارس، نضال خضر معيوف، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1991.

25 – هناك من يرى أنه من مواليد 1694م، للمزيد من الاطلاع فلينظر الهامش رقم 1 ص 22 من المقال التالي:

- Zehor zizi: Thomas Shpw au Proche-Orient, 1721- 1722; élucidation et défense des textes sacres, in XVII – XVIII. Revue de la Societe d'etude Anglo-américaines des XVIIe et XVIIIe Siecle, N 67,2010- l'attrait de l'orient/ the call of the East.

متاح هذا المقال على الرابط التالي:

- WWW.persee.fr/doc/XVII-

26 - Voyagers and Travellers, Philosophers and men of science, Authors, vol 3 of the Georgian Era. Memoirs of the most eminent person. Who have flourished in Great Britain, frome the accessiour of Geroge the First to the demise of Geroge the Fourth. 4 vols, London. Vizetelly, Bronston and Co, 1834,p 13.

27- Ibid,p 13.

28 - Rachel Finnegan: English explorers in the east (1738-1745) the travels of Thomas Show, Charles Perry and Richard Pocoke, Brill, Leiden, Boston, p p 5,8.

29- Voyagers: Op.Cit, p 14.

30- Ibid, p 2, 9.

31 - Zehor zizi: Op.Cit, p p 35, 37.

32 - Voyages de Mons. Shaw,M,D dans plusieurs provinces de la Barbarie et du levant contenant des observations géographiques, physiques, philologiques et mellées sur les royaumes d'Alger et de Tunis, sur la Syrie, L'egypte et L'Arabie Petrée, Tome 1, a la HATE chez Jean Neauzme, 1743, p 4.

33 - Zehor zizi: Op.Cit, p 23.

34- Ibid, p 23.
35- Zehor Zizi: Op. Cit, p 27.
36 - Voygers, Op. Cit, p 14.
37 - Zehor Zizi: Op. Cit, p 25, 26.
38- Ibid, p24.
39- Voyages de Mons. Shaw: Op.cit, p p 17,23.
40 - Shaw: Voyage dans la regence d'alger ou description geograohi, physique,philologique,etc, de cet etat, traduit de l'Anglais par J. Mac Carthy, chez Marlin Editeur,Paris, 1830, p 152.
41- Ibid, p 153,154.
42- Ibid, p 155.
43 - Shaw: Op.cit, p 155.
44 - Ibid, p 165.
45- Zehor zizi: Op.cit, p 24.
46- Voyage de Mons. Shaw: Op.cit, p14.
47- Ibid, p 20.
48 - Zehor ziz: Op.cit, p 29..
49- Voyage de Mons. Shaw: Op.cit, p 19.